African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 2, Issue 3, July-September 2023, Page No: 198-215
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2022: 1.04 SJIFactor 2023: 5.58 ISI 2022-2023: 0.510

مكانة العقل في الشريعة الإسلامية

صدام أحسن عبده الدرواني*
طالب دكتوراه، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن.

The Status of the Mind in Islamic Law

Saddam Ahsan Abdu Al-Darwani*
PhD student، Department of Islamic Studies، Faculty of Arts and Humanities، Sana'a University، Yemen

*Corresponding author sdamaldrawany31@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-07-22 **تاريخ القبول:** 2023-06-24 **تاريخ الاستلام:** 2023-05-05

الملخص
مسألة العقل في الشريعة الإسلامية تعد من المسائل التي اهتم فيها أهل المعرفة من حيث "المفهومية، ومكانته في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتكريم الله تعالى للإنسان بالعقل" وذلك حين جعله مناط التكليف، فهو الأداة التي يفرق بها بين الإنسان وسائر المخلوقات، كما يعد وسيلة التفكر والاعتبار، وجعله أحد الضروريات الخمس التي أوجب المحافظة عليها. الهدف الرئيسي من هذا البحث هو بيان مفهوم العقل، بالإضافة لإبراز مكانة العقل في الشريعة الإسلامية مع رسم صورة واضحة عن تكريم الإنسان.

الكلمات المفتاحية: مكانة العقل، تكريم الإنسان بالعقل، الشريعة الإسلامية.

Abstract
The issue of the mind in Islamic law is one of the issues in which scholars of knowledge have taken an interest in terms of "conceptualization، its place in the Holy Qur'an and the Prophet's Sunnah، and honoring God Almighty for man with reason" when he made it the basis for assignment، as it is the tool by which he differentiates between man and other creatures. The main objective of this research is to clarify the concept of reason، in addition to highlighting the position of reason in Islamic law، while drawing a clear picture of human honor.

Keywords: the status of reason، honoring man with reason، Islamic law.

المقدمة:
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله.
أما بعد:
فإن علم العقيدة الإسلامية أشرف العلوم وأجلها، لأنه متعلق بالعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وحقوقه على عباده، وقد تكفل الله تعالى بحفظ هذا العلم وذلك بحفظ أصله الذي هو القرآن الكريم والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

(1) سورة الحجر: آية 9.

أهمية البحث، وأسباب اختياره:

يُعد موضـــوع العقل من أهم الموضـــوعات التي تبنى عليها مســـائل الاعتقاد ودلالاتها وما تثمره من أقوال وأعمال صالحة، وبيان ذلك:

أن من يقرأ القرآن الكريم، والسـنة النبوية ويتدبرهما يتضـح له أن الله تعالى أقام الحجة على عبادة بما ركب فيهم من العقل وأنزل إليهم من السمع.

تُعد العقيدة هي الأساس والقاعدة الضرورية في الاستجابة للتشريعات، كون الشخص المؤمن يتبع دينه في أدق تفاصيله، فعنده قابلية لذلك تنبع من فهمه العقلي.

العقيدة هي المحرك الرئيس للأحداث، وهي التي يدور حولها فكر الإنسان.

إيضاح الرؤية في تعريف العقل ومكانته بشكل مختصر مفيد غير مخل.

الحاجة إلى معرفة دور العقل ومكانته في الإســـلام كونه مناط التكليف، وشـــرط في العلم والمعرفة، وأساس في صحة العبادة.

أهداف البحث:

- بيان مفهوم العقل.
- إبراز مكانة العقل في الشريعة الإسلامية.
- رسم صورة واضحة عن تكريم الإنسان.

حدود البحث:

تركز البحث حول مفهوم العقل، ومكانته في الشريعة المطهرة، وتكريم الله تعالى للإنسان بالعقل.

منهج البحث:

منهج البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الفكرة وإخضاعها للتحليل، سالكاً فيه المنهج العلمي الأكاديمي المتعارف عليه.

خطة البحث:

إطار منهج البحث.

المبحث الأول: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المفهوم اللغوي والشرعي للعقل.

المطلب الثاني: مكانة العقل في الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم).

المبحث الثاني: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة العقل في السنة النبوية.

المطلب الثاني: تكريم الله تعالى للإنسان بالعقل.

الخاتمة

المبحث الأول
تعريف العقل

المطلب الأول
المفهوم اللغوي والشرعي للعقل.

من خلال الاطلاع على كتب معاجم اللغة، والبحث فيها عن تعريف كلمة "عَقَلَ" يجد الباحث أن جميع تصاريف هذه الكلمة تعود في مجملها إلى معنى الحبس، والمنع، والإمساك والتميز، والفهم.

فالعقل في اللغة:

الحجر، والنهى: ضـــد الحمق، والجمع، يقال:(رَجَل عاقل)، أي: جامع لأمره ورأيه، والتثبت في الأمور يقال: (إنســان عاقل) أي: متثبت في أموره، والتميز، وهو الذي يتميز به الإنســان من ســائر الحيوان، والفَهَم، يقال: عقل الشـــيء يعقله عقلا إذا فهمه [2]، والحبس، مأخوذ من قولهم:(قد اعتقل لســـانه) إذا حُبس ومُنع من الكلام.

فكل هذه المعاني تدل على أن العقل في مفهوم اللغة هو العاصم الذي يمنع الإنسان بعد توفيق الله تعالى وهدايته، من الطيش والحمق والتســرع في الأمور دون روية وأناة، وذلك بما يمليه عليه العقل من الوعي والإدراك، ويقيه مخاطر الزلل والخطأ.

وعليه: فإنه يمكن القول بأن العقل هو:" الملكة التي يناط بها الوازع الأخلاقي، والمنع عن المحظور والمنكر".

هذا هو السبب في تسمية العقل بهذه التسمية التي تتوارد شهرتها في اللغات الإنسانية، التي يتكلم بها مئات الملايين من البشر.

المفهوم الشرعي للعقل:

وقع الخلاف في المفهوم الشرعي للعقل، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الاحتمالات الآتية[3].

الاحتمال الأول: أن البحث عن حقيقة العقل مما لا طائل تحته، لأنه لو كان مهماً لما سكتت الشريعة عن بيان ماهيته.

الاحتمال الثاني: أن إدراك حقيقة العقل خارج عن حدود الإدراك البشـــري، وإنما الممكن هو ذكر آثاره التي يمكن من خلالها التعرف عليه، والتفريق بين من يملكه ومن لا يملكه من المجانين ونحوهم، وهو بهذا مثل الروح التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَيَسْـــأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾[4].

الاحتمال الثالث: أنه لم يكن مقصـــودهم إعطاء حدٍ جامع مانع للعقل، بل كانت وجهتهم تتركز حول الدلالة عليه، بما يحصـل من معرفتهم به المعرفة الإجمالية، أي بمعرفة أوصـافه، التي من وجدت فيه سـمي عاقلاً، فكتفى بعض أهل العلم بذكر بعض أوصاف العقل، باعتبار أن ما ذكر من الأوصاف كافٍ في الدلالة على المقصود.

وبالنظر في تعريف العقل عند الفرق الإســلامية، فإنه يصــعب تحديد العقل بحد معين يحيط به، ولعل الغزالي ذكر مفهومه للعقل- بما يشمل كثيرا من الخلاف في هذا المفهوم، فقال رحمه الله: "والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل: اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان[5]".

ويطلق العقل: على أربعة معانٍ تشملها التعريفات لمفهوم العقل وهي:

أحدها: الغريزة التي بها يعقل الإنســـان، وهي مما يتوزع وجودها، إذ أنكر كثيرٌ من الأولين أن يكون في الإنسان قوة يعلم بها غير العلم، أو بصيرة يبصر بها غير البصر، أو قوة يسمع بها غير السمع.

الثاني: العلوم الضـــرورية التي يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه، وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف.

الثالث: علوم مكتسبة تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره، فهذا أيضا لا نزاع في وجوده، وهو داخل فيما يُحمد به عند الله تعالى.

الرابع: العمل بالعلم، يدخل في مسمى العقل- أيضا- بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح[6].

ويمكن أن تعُود تلك المعاني الأربعة المذكورة للعقل، إلى معنيين وهما:

---

(2) انظر: لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى، (457/11-458)، وانظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، (1399هـ)، (1979م)، (6/4).

(3) انظر: الدليل العقلي وبعده المقاصدي، عبد الله حسين محمد الأشول، رسالة ماجستير- جامعة صنعاء، إشراف أ.د/محمد سنان الجلال، (1431هـ)، (2010م)، (ص:10).

(4) سورة الإسراء، الآية 85.

(5) انظر: المستصفى في أصول الفقه، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة السابعة، (1997م)، (64/1).

(6) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت505هـ): دار االمعرفة - بيروت (85/1-86).

الأول: العقل المطبوع (الجِبلَي)، ويدل عليه المعنيان الأوليان الدالان على أنَّ العقل غريزة، وعلومٌ ضرورية،ٌ يفرق بهما بين الإنسان وغيره من البهائم التي لا تعقل، وبين العقلاء الذين يصح تكليفهم، وبين من لا يصلح تكليفه من المجانين.

الثاني: العقل (المكتسب)، ويدل عليه المعنيان الأخيرانِ الدالان على أن العقل هو ما يستفيده من المعرفة الداعية إلى النظر في عواقب الأمور، والعمل بمقتضى ذلك النظر من جلبٍ للمنافع والمصالح ودفعٍ للمضار والمفاسد، والتي يوصف من اتصف بها بأنه من العقلاء.

ولعل سائلاً يسأل عن مكان وجود العقل...؟

فأقول: اختلف أهل العلم في مكان وجود العقل من جسم الإنسان على عدة أقوالٍ، أشهرها ثلاثة، وهي على النحو الآتي:

القول الأول: محل العقل في الرأس، وهو مذهب الأحناف، ونُقلَ عن الإمام أحمد[7]، وإليه ذهب المعتزلة، وهو المشهور عن الأطباء[8]، غير أن في نسبة هذا القول إلى الحنفية نظر، لأن من الحنفية من صرح بأن العقل نور في القلب، ومنهم فخر الإسلام البز دوي[9]، الذي يقول: "أما العقل فنور يضيء به طريق يبتدئ به من حيث ُينتهي إليه الحواس، فيبتدئ المطلوب للقلب فيدركه القلب يتأمله بتوفيق الله تعالى[10]"، والسرخسي[11]، الذي يعرِّف العقل بأنه: "نور في الصدر[12]".

والصدر يحوي القلب لا الرأس، وعليه فالقائل بذلك بعضهم وليس كلهم.

واستدل القائلون بأن العقل في الرأس: بأن الرأس إذا ضَربَ زال العقل، وأنه لو ضرب الإنسان على جميع بدنه لم يزُلْ عقله فدلَّ ذلك على أن العقل في الرأس.

القول الثاني: محل العقل في القلب:

وهو مذهب المالكية والشافعية، ورواية عن الإمام أحمد واستدلوا بما يأتي[13]:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[14].

والفقه: هو العلم والفهم والمعرفة، ولو لم تكن القلوب محلا للعلوم لما أضاف الحق سبحانه الفقه إليها، فثبت أنَّ القلب للعلوم كالمحل للعقل الذي هو بعض تلك العلوم[15].

---

(7) انظر: شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي ألفتوحي، تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، (1418هـ)، (1997 م)، (84/1).

(8) انظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت(1419هـ-1998م). (ص:619).

(9) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري البز دوي، فقيه حنفي من علماء الأصول، من مصنفاته، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البز دوي، و شرح المنتخب ألحسامي، (توفي سنة730هـ)، (1330م)، انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، (توفي سنة 775هـ)، تحقيق، مير محمد خانه، كراتشي (318/1).

(10) انظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (1418هـ)، (1997م)، (757/2).

(11) هو أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السر خسي، قاض، من كبار الأحناف، مجتهد من مصنفاته: المبسوط، و والأصول، ومختصر شرح الطحاوية، (توفي سنة483هـ)، (1090م)، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى سنة 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (1405هـ)، (1985م)، (81/19).

(12) انظر: أصول السر خسي، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السر خسي تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (1414هـ)، (1993م)، (346/1).

(13) انظر: العدة في أصول الفقه، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء تحقيق: أحمد بن علي بن سير ألمباركي، بدون ناشر، الطبعة الثانية، (1410 هـ)، (1990م)، (89/1)، والتبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1409هـ)، (1988م)، (ص:511).

(14) سورة الأعراف: الآية 197.

(15) انظر: شرح الكوكب المنير، أبو البقاء الفتوحي، (84/1).

وهذا ما فسره الإمام الشوكاني[16] في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[17]، أنهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يتعقلوه، كما أسند التعقل إلى القلوب، لأنها محل العقل كما أن الآذان محل السمع[18].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد﴾[19]، قالوا: أراد به العقل، فدل على أن القلب محله، لأن العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له، أو كان بسبب منه.

الدليل الثالث: ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان يقول إذا دخل على ابن عباس، رضي الله عنهما:" ذاكم فتى الكهول، إنه له لساناً قوؤلاً، وقلبا عقولاً[20]"، قالوا فنسب العقل إلى القلب، وكما روي عن علي رضي الله عنه، يوم صفين أنه قال: "إن العقل في القلب[21]".

القول الثالث: محل العقل هو القلب، وله اتصال بالدماغ[22]، وقد نُسب هذا القول إلى أبي الحسن التميمي[23]، وغيره من أصحاب الإمام أحمد[24]، وبه يقول بعض الفلاسفة[25].

وقد استدلوا على هذا القول بالأدلة نفسها التي استدل بها أصحاب القول الأول.

كما استدلوا أيضا على أن العقل متصل بالدماغ: بأن العقل وإن كان محله في القلب، إلا أن نوره يعلو إلى الدماغ فيفيض منه إلى الحواس.

وقبل مناقشة الآراء السابقة نلحظ أن الاختلاف في هذه المسألة يعد ثمرة من ثمار الاختلاف في قضية العقل والنقل في العقيدة، وما رأى من قال بأن العقل في القلب إلا بناءً على أخذه بأدلة أكثرها نقلية –كما تقدم كما أن رأي من قال بأن محل العقل في الرأس قد استند إلى أدلة عقلية، أما القول الثالث حاول التوسط بينهما"وهي محاولة تحيل إلى التوفيق بين العقل والنقل".

ويمكن مناقشة القول الثاني والثالث في استدلالهم بأن العقل في القلب بما يأتي:

أولاً: أن الآيات الكريمات لا دلالة فيها على أن العقل في القلب، وإنما مقتضى الآية الأولى أن صاحب القلب السليم من الشهوة والشبهة هو الذي ينتفع بالمواعظ والزواجر، وكذلك هو مقتضى بقية الآيات المذكورة آنفاً.

ثانياً: أن القول بأن العلوم محلها القلب غير مُسلم به، ولو سُلِّم به فلا يدل على أن محل العقل هو القلب.

ثالثاً: يبرز سؤال للذين يقولون أن القلب محل العقل مفاده ماذا يقصدون بلفظ القلب؟، ذلك لأن لفظ " القلب " قد يراد به المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن والتي جوفها علقة سوداء كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **"إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب[26]"**، فهل يكون القلب بهذا المعنى محلاً للعقل؟.

وقد يراد بالقلب باطن الإنسان مطلقاً فإن قلب الشيء باطنه كقلب الحنطة واللوزة والجوزة ونحو ذلك.

---

(16) هو محمد بن علي الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولي قضاء صنعاء (سنة 1229هـ)، ومات حاكماً بها،)، من مصنفاته، نيل الأ وطار من أسرار منتقى الأخيار، وفتح القدير، والسيل الجرار، (توفي سنة 1250هـ)، (1834م)، انظر: الأعلام، الزركلي، (6 /298).

(17) سورة الحج: الآية 46.

(18) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1418هـ)، (1998م)، (364/3).

(19) سورة ق: الآية 37.

(20) انظر: العدة، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف الفراء، (89/1-90).

([21]) انظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، (1409هـ)، (1989م)، (268/16)، رقم حديث (44393).

(22) انظر: البحر المحيط، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، (المتوفي سنة: 794هـ) تحقيق: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت (1421هـ)، (2000م)، (88/1).

(23) هو أبو الحسن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي الحنبلي، له مصنفات في الكلام وفي الفقه وأصوله وفي الخلاف والفرائض، وقد اتهُم بوضع الحديث، (توفي سنة:371هـ)، انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف، وزارة الثقافة والإرشاد القومي- مصر، (140/4).

(24) انظر: شرح الكوكب المنير، أبو البقاء ابن النجار، (84/1).

(25) انظر: تفسير اللباب: أبو حفص عمر بن على بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (30/1).

(26) أخرجه مسلم في صحيحه، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، كتاب المساقاة، باب

رابعاً: يقال لأصـــحاب القول الثالث القائلين إن العقل في القلب وله اتصـــال بالدماغ هل يمكن أن يعكس عليكم الرأي ؟، فنقول العقل محله الرأس وله اتصال بالقلب[27].

تلك هي أهم الأقوال في هذه المســألة، ويمكن التوفيق بينها في:"أن العقل له تعلق بالقلب والدماغ معاً، وذلك لأن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة والقصـــد في القلب، ومعلوم أن أصـــل العلم والعمل الاختياري الكســبي، الإرادة التي محلها في القلب، ومعلوم أن المريد لأمر لا يمكن أن يكون مُريداً له إلا بعد أن يتصـــوره، وتصـــوره ابتداءً يكون من الدماغ وهو محله، ولهذا يمكن أن يقال: إنَّ القلب هو موطن الهداية، والدماغ موطن الفكر والتصـــور ولذلك قد يوجد في الناس من فقد عقل الهداية الذي محله القلب، مع وجود عقل الفكر والنظر والتصور لديه.

فلا ينتفع بنور الشـــرع فيتذكر ويســـتقيم على وفقه إلا من كان لديه عقل الهداية وإن كان لديه عقل الفكر والنظر، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُوَ شَـهِيد**﴾[28]، ومعلوم أنه لم يرد بالقلب هنا مضـــغة اللحم المشـــتركة بين الناس جميعا بل المراد ما فيه من القلب واللب، الذي يؤدي إلى التذكر والانتفاع بالمواعظ الواردة من الشرع، وبذلك يكون لكلا القولين وجه صحيح، وللقول الثالث أن يُحمل على أن المقصـــود بالاشـــتراك بين القلب والدماغ هو ما ذكر آنفاً، فلا تعارض بينه وبين القولين الأولين بهذا الجمع، والله أعلم[29].

ثمرة الخلاف في هذه المسألة:

تظهر ثمرة الخلاف في محل العقل في مسألة فقهية وهي الدية في الموضحة[30]، ذكرها الإمام الزركشي، في قوله: "ومما يتفرع على الخلاف في أن محله ماذا؟ لو أوضـح رجلٌ فذهب عقله، فعند الشـافعي ومالك دية وأرش الموضحة، لأنه أتلف عليه منفعةً ليست في عضو الشجة تبعاً لها، وقال أبو حنيفة: إنما عليه دية العقل فقط، لأنه إنما شجّ رأسه، وأتلف عليه العقل الذي هو منفعة في العضو المشجوج، ودخل أرش الشجة في الدية[31]".

أما الإمام أبو حنيفة، ومن معه من القائلين بأن العقل في الدماغ (فقد ذهبوا إلى أن على الجاني دية العقل فقط، لأنه أتلف على المجني عليه العقل، الذي هو منفعة العضو المشجوج ولذلك يدخل أرش الشجة في ديته[32]".

ومن ثمرة الخلاف –أيضـاً- ما ذكره الشـربيني[33]، من سـقوط القصـاص في ذهاب العقل للاختلاف فيه[34].

المطلب الثاني
مكانة العقل في الشريعة الإسلامية (القرآن الكريم).

حُظي العقل في القرآن الكريم بمكانة عظيمة ولفظ " العقل " ظهر في القرآن الكريم في صـورة تصـريفات لجذر (عقل) جانب مرادفات تحيل إلى مفهومه ولفظه أو ما يدل على العمليات العقلية مثل: يعقلون، يتدبرون،

أخذ الحلال وترك الشبهات (1220/3)، رقم حديث (1599).

(27) انظر: جدلية العقل والنقل في الفكر الإسلامي، فهد عبد القادر عبد الله الوراث، رسالة ماجستير جامعة صنعاء، إشراف/ أ. د/ أحمد علي الماخذي (2008م)، (ص:110).

(28) سورة ق: الآية 37.

(29) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (ص:511).

(30) الموضحة: هي "التي وصلت إلى العظم" سميت بذلك لأنها أبدت وضح العظم أي بياضه، انظر: العدة شرح العمدة، عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: صلاح بن محمد عوضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (1426هـ)، (2005م)، (154/2)، فهي الشجة تبدي وضح العظام، وهي التي تقشر الجلدة التي تبين اللحم والعظم، مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز (3/27)، مادة(وضح).

(31) انظر: البحر المحيط، الزركشي، (70/1).

(32) انظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار، (70/1).

(33) هو شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، فقيه شافعي، مفسر، نحوي، من مصنفاته: السراج المنير، ومناسك الحج، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (توفي سنة977هـ)، (1569م)، انظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي (269/8)

(34) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، (المتوفي سنة 977هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان- الطبعة الأولى (1415هـ)، (1994م)، (43/3).

يتفكرون، يتذكرون... " هذه الألفاظ في القرآن الكريم تتحدث عن بيان الدور الوظيفي للعقل وأنه يجيب علينا الابتعاد عن الخوض والدخول في متاهات الخائضين في هذا الموضوع، الذين ركزوا جهدهم في البحث عن ماهية العقل ومعرفة حقيقة مادته غافلين عن القيمة الحقيقة للعقل التي يسمو بها الإنسان ويرتقي في درجات الكمال.

مرادفات العقل في القرآن الكريم:

القلب: وقد ورد فيما يقارب من مائة وثلاثين آية من القرآن الكريم.

ومنه قوله تعالى:﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[35]، وقول الله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[36].

جاء في القاموس المحيط:" والقلب: الفؤاد أو أخص منه والعقل محض كل شيء[37]".

الحِجْرْ: وقد ورد في القرآن الكريم في موضعٍ واحدٍ في سورة الفجر في قوله تعالى: **﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾**[38].

جاء في لسان العرب: "والحِجر بالكسر العقل واللب، لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتميز[39].

الحِلْم: وقد ورد في القرآن الكريم في موضعٍ واحدٍ في سورة الطور في قوله تعال:﴿ **أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾**[40].جاء في لسان العرب:" الحلمِ بالكسر الأناة والعقل جمعه أحلام وحلومٌ...[41]".

اللب: وقد وردفي القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً، قال في لسان العرب:" لبُّ كُلِّ شيءٍ ولبابه خالصه وخياره، ولب الرجل ما جعل في قلبه من العقل ...واللبّ العقل والجمع ألبابٌ وألبُبْ[42]"، قال تعالى: **﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾**[43].

النُّهى: وقد ورد في القرآن الكريم في موضعين من سورة طه في قول الله تعالى **﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾**[44]، وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾**[45]، قال الراغب الأصفهاني[46]: والنُّهية: العقل الناهي عن القبائح جمعها نُهى[47]".

وقد وردت تصاريف كلمة "عقل" في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، منها قوله تعالى: **﴿وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُون﴾**[48]، وقوله تعالى: ﴿ **أَفَلاَ تَعْقِلُون﴾**[49]..الخ.

وفي نهاية هذا المطلب، يمكن أن نخلص إلى القول أن المعاني التي تدور حول معنى العقل في نصوص القرآن العظيم تدل في مجملها على قضية واحدة، هي أنَّ العاقل إنما هو من تتحقق منه العبودية المطلقة لله تعالى وحده لا شريك له، فيستسلم لشرع الله تعالى مطلقاً، في كافة المجالات سواء كان في مجالات التشريع والتحليل

---

(35) سورة الأعراف: 179.

(36) سورة الحج: 46.

(37) انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبان- د.ت، باب الباء فصل القاف، (ص:162-163)، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس (17/5).

(38) سورة الفجر: الآية 5.

(39) انظر: لسان العرب: ابن منظور (457/11-458)، ومعجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، (1399هـ)، (1979م)، (165/4)، (مادة حجر).

(40) سورة الطور: الآية 32.

(41) انظر: لسان العرب، ابن منظور (145/12)، (مادة حلم).

(42) انظر: لسان العرب، ابن منظور (721/1)، (مادة لب).

(43) سورة البقرة: الآية 269.

(44) سورة طه: الآية 54.

(45) سورة طه: الآية 128.

(46) هو أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، أديب، من الحكماء العلماء (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، والذريعة إلى أحكام الشريعة، وأخلاق الراغب، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (120/18).

(47) انظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: الأولى- (1412هـ)، (ص:507).

(48) سورة المائدة: الآية 58.

(49) سورة البقرة: الآية 44.

والتحريم، أو في ميدان العبادة أو فيما يتعلق بمعرفة الله تعالى من التصـورات والاعتقادات الغيبية التي لا تعرف إلا بالوحي.

تلك هي الصـفة الحقيقة للعقل في ميزان الله تعالى وبدونها يفقد الإنسـان صـفة" العقل" الممدوح، السـليم من الاضـطراب والتخبط، ويسـقط في درجات التفكير إلى أدنى المسـتويات المنحطة، وبذلك نعلم أن المعاني التي عليها وحولها معنى العقل، كوصـف ممدوح في القرآن الكريم، تصـب في نفس النقطة التي جاء ت الشـريعة الإسـلامية بتحقيقها.

هذه كانت لمحة موجزة عن الآيات التي وردت فيها الإشـارة إلى العقل في القرآن الكريم، وإذا كانت الإشـارة قد تكررت بهذا العدد الوفير، فإن ذلك إن دل على شـيء فإنما يدل على الأهمية العظمى للعقل، لأنه مناط الإدراك في الإنسان، ومحل التكاليف الشرعية التي كلفه الله عزوجل بها.

المبحث الثاني

العقل في السنة

المطلب الأول:

مكانة العقل في السنة النبوية

أشـارت السُنة النبوية على صـاحبها أفضـل الصـلاة وأتم التسـليم، إلى معاني العقل وإعماله كما أشـار إلى ذلك القرآن الكريم، وقد وردت نصـوص في السـنة النبوية حث فيها رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم على الاجتهاد وأقره، ومن المعلوم أن الاجتهاد إنما يكون بإعمال العقل وذلك من خلال النظر في المسألة للوصول إلى حلها، وأقر الحاكم على ذلك بأنه إذا حكم فاجتهد في حكمه فأصـاب الحكم، كان له أجران، وإذا أخطأ كان له أجر واحد، قال رسـول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصـاب كان له أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[50].

وقد أجمع المسـلمون على أن هذا الحديث "في عالم حاكم أهل للحكم، فإن أصـاب فله أجران: أجر بإصابته، وأجر باجتهاده، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده [51]".

وهذا الإقرار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يدل على إعمال العقل ومكانته وأهميته في فهم الشريعة الإسلامية.

وهنا لا بد من أن نشـير إلى أن النصـوص النبوية التي ورد فيها لفظ العقل، تنقسـم من حيث القبول والرد إلى قسمين: أولهما أحاديث صحيحة مقبولة، وثانيها ضعيفة مردودة، وإليك بيان القسمين:

القسم الأول: الأحاديث الصحيحة التي ورد فيها ذكر العقل.

ورد لفظ "عَقْلْ" في الأحاديث بصيغة الاسم والفعل، كما وردت بعض مرادفاته بصيغة "الاسم" وهي تدور حول المعاني الآتية:

العقل بمعنى: "الإدراك" الذي هو مناط التكليف وقد ورد في أحاديث كثيرة منها: حديث علي بن أبي طالب رضـي الله عنه، أن النبي صـلى الله عليه وآله وسـلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه- أو قال المجنون – حتى يعقل، وعن الصغير حتى يشب[52]".

(50) أخرجه مسلم في: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت، عن عمرو بن العاص، كتاب الأقضية، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، (131/5)، رقم حديث (4584).

([51]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، (1392هـ)، (148/6).

(52) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1421هـ)، (2001 م)، (116/1-118)، والسنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (المتوفى سنة: 303هـ)، تحقيق:د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1411هـ)،(1991م)، رقم حديث، (7346)، (324/4)، وقال الألباني: صحيح، كما في صحيح الجامع الصغير، برقم (3513).

وحديث ماعز بن مالك[53]، رضي الله عنه في قصة اعترافه بالزنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم –للصحابة: « أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحنا فيما نرى... » الحديث[54].

العقل بمعنى" الفهم" مطلقاً كما في حديث أبي ذر[55]، رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « يا أبا ذر أعقل ما أقول لك: لَعَنَاقٌ[56]، يأتي رجلاً من المسلمين خير له من أُحُد ذهباً يتركه وراءه يا أبا ذر، أعقل ما أقول لك: إن الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » أو"إن العقل في نواصيها الخير[57]".

كما ورد ذكر الحِلْم والنُهى مرادفين من مرادفات العقل في سياق الثناء لمن اتصف بها، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث أبي مسعود البدري[58]، رضي الله عنه إذ قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول «استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » [59]، قال النووي[60]: "وأولو الأحلام: العقلاء وقيل: البالغون، فعلى قول من يقول: أولو الأحلام العقلاء يكون اللفظان بمعنى، فلما اختلف اللفظ عطف احدهما على الآخر تأكيداً وعلى الثاني معناه البالغون العقلاء[61]".

ذلك هو ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأن العقل، وبالنظر في المعاني الواردة للعقل في تلك الأحاديث نجد أنها تدور حول الآتي:

الأول: عَدُّ العقل مناطاً للتكليف، كما في حديث علي وحديث ماعز رضي الله تعالى عنهما.

الثاني: بيان ثبوت صفة العقل كصفة ممدوحةٍ لمن اتصف بالإيمان، ولمن كان من أهل الحلم والنهي الذين تنهاهم عقولهم عن فعل القبيح وتأمرهم بفعل الحسن، فكان ذلك سبب في تقديمهم في الصف الأول خلف الإمام في الصلاة على غيرهم من الناس.

وليس في شيء منها حديث عن فضل العقل بخصوصه بل كل الأحاديث في فضل العقل بخصوصه لا يصح منها شيء كما سيتبين بعون الله تعالى.

---

(53) هو ماعز بن مالك الأسلمي، معدود في الصحابة المدنيين، كتب له رسول الله –صلى الله عليه و آله وسلم- كتاباً بإسلام قومه، وهو الذي اعترف بالزنا تائباً منيباً، وكان محصناً، فرجمه رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم-روى عنه ابنه عبدالله حديثاً واحداً، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني ابن الأثير (630هـ) تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى (1415هـ) (232/4) رقم (4550).

(54) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، (1321/3-1322)، رقم حديث (1659).

(55) صحابي جليل اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وأصح و أشهر ما قيل في اسمه أنه جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مُعيل بن صُعر بن حرام بن غفار، كان من فضلاء الصحابة، وأقدمهم إسلاماً وكان سيد قومه، وكان طويلاً نحيفاً أسمر اللون، (توفي سنه31هـ)، وصلى عليه ابن مسعود- رضي الله عنه- ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل، انظر: أُسْدُ الغابة، ابن الأثير، (99/5-101)، رقم (5862)، و الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت- الطبعة الأولى، (118/11-123)، رقم (384).

(56) العناق: هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنه، كما في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت- لبنان، بدون تاريخ، (311/3).

(57) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (181/5)، رقم حديث (21570).

(58) صحابي مشهور بكنيته، واسمه عقبة بن عامر بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري، لقب بالبدري لأنه سكن ماء بدر، شهد بيعة العقبة، وبدر و أحداً وما بعدهما توفي على الأرجح في الكوفة بعد سنة، (40هـ)، وقيل بالمدينة، انظر: الإصابة، ابن حجر العسقلاني، (25/7)، رقم (5599).

(59) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها، (323/1)، رقم حديث (432).

(60) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن حزام الحزامي، محي الدين أبو زكريا النووي الحوراني الدمشقي الشافعي، أخذ عن علماء عصره، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد أبي شامة، من مصنفاته، شرح صحيح مسلم، والمجموع شرح المهذب، وتهذيب الأسماء واللغات، وغيرها كثير، (توفي سنة 676هـ)، انظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق:د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب- بيروت- الطبعة الأولى، (1407 هـ)، (359/8-400)، وتذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1419هـ)، (1998م)، (1470/4-1474).

(61) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (113/2).

القسم الثاني: الأحاديث المردودة الواردة في شأن العقل.

أحاديث العقل المردودة عند علماء الحديث تدور بين الوضع والضعف، وقد تكلم عنها العلماء ونقدوها نقداً علمياً دقيقاً وطلباً للاختصار سوف نكتفي بذكر أشهر حديث ورد في فضل العقل وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: " لما خلق الله العقل، قال له: قم، فقام، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أقعد فقعد، ثم قال له: ما خلقت خلقاً هو خيرٌ منك، ولا أفضل منك، ولا أحسن منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أعرف، وبك أعاتب، وبك الثواب، وعليك العقاب[62]".

قال ابن الجوزي[63]: "هذا الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[64]"، وقال أيضاً: وقد روي هذا الحديث من حديث علي وأبي هريرة، وليس فيهما شيء يثبت.

قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى[65]: هذا الحديث موضوع ليس له أصل، وقد "اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ضعيف، بل موضوع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " بل قد روي أن" أحاديث العقل كلها كذب[66]".

وقال ابن حبان البستي:[67] " لست أحفظ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، خبراً صحيحاً في العقل[68]".

وبعد استعراض شيء مما ورد من أقول العلماء في شأن حديث:

(أول ما خلق الله العقل)، وأحاديث فضل العقل عموماً، نود أن نشير إلى بعض الملاحظات، حول معنى أقوال العلماء:" التي تفيد بأنه لم يرد حديث صحيح في فضل العقل" وهي كالتالي:

الملاحظة الأولى: "أن مقصود العلماء بقولهم: لم يصح في فضل العقل حديث، هو أنه لم يرد نص خاص بالعقل يتحدث عن فضل العقل بخصوصه، وليس مقصودهم أنه لم ترد مادة " عقل " في نصوص السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدليل أن كل من دون أحاديث فضل العقل لم يورد كل ما ورد فيه لفظ " عقل "، بل إنه لم يذكر إلا ما كان مقصوداً به بيان فضيلة العقل.

الملاحظة الثانية: أن العلماء حينما حكموا على الأحاديث الواردة في فضل العقل بالضعف أو الوضع، قد بنوا حكمهم من خلال النظر في أسانيد تلك الأحاديث والبحث في أحوال رواتها، أي من خلال النظر والبحث العلمي الدقيق، وعندما لم تتوافر شروط قبول تلك الأسانيد، حكموا عليها بما يناسب حالها ضعفاً ووضعا.

الملاحظة الثالثة: أنه على افتراض صحة الأحاديث الواردة في فضل العقل، فليس فيها دليل على معارضة ما ثبت من شرع الله تعالى، وأحكامه في كتابه، أو في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام بحجة أن العقل يأباها أو يردها، بل يتبين من خلال النظر في متونها، أنها تقضي في محصل ومجموع معناها، بأن العقل الممدوح هو المتبع

---

(62) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف في الجمهورية العراقية، (1405هـ)، (1985م)، وفي المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (8 /318)، رقم حديث (8086)، وابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله، تحقيق: لطفي محمد الصغير، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، (1409هـ)، (1989م)، (ص:39-41)، رقم حديث (16).

63() هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي القرشي، علامة عصره، مؤرخ، ومحدث، (ت597هـ)، من مؤلفاته: الموضوعات، وتلبيس إبليس، والمدهش، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: حسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى (1900م)، (279/1).

(64) انظر: الموضوعات، أبو الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزي القرشي، تحقيق: دكتور نور الدين بن شكري جيلار، أضواء السلف، ومكتبة الشعرية، الطبعة الأولى، (1418هـ)، (1997م)، (273/1).

65() هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، (ت241هـ)، من مؤلفاته: المسند، والناسخ والمنسوخ، والتفسير، انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (17/1).

(66) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، (المتوفي سنة 751 هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب (1402هـ)، (1982م)، (ص:68).

(67) هو محمد بن أحمد بن حبان، أبو حاتم التميمي الداري البستي، أخذ عن علماء عصره، وبلغ عددهم أكثر من ألفي شيخ، من الفقهاء وحفظة الآثار، ثقةٌ نبيلٌ فاضلٌ، ولي قضاء سمرقند زماناً، من مصنفاته: صحيح ابن حبان، وتاريخ الثقات، وغيرها، (توفي سنة 354هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (92/16)، رقم (70)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى سنة: 764 هـ)، (317/2-318).

(68) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (1397هـ)، (1977م)، (ص:16).

للشـرع، وما جاء عن الله من أحكام وأوامر، فليس فيها ما يدعو إلى اتخاذ مصـادر غير مصـادر أهل الإسـلام المعلومة.

أقوال العلماء في أهمية العقل: -

تواترت عبارات السلف والخلف بمختلف مذاهبهم ومدارسهم- على أهمية العقل ومكانته، وإن اختلفوا في الدائرة والمسـاحة التي يعمل فيها العقل لاسـيما في علاقته بالنقل والإجماع، على أهمية العقل لم نعلم لذلك مخالفاً وقد وردت بعضاً من عبارات للسلف والخلف عن أهمية العقل.

يقول ابن الجوزي: "من سـار مع العقل وخالف طريق الهوى ونظر في العواقب أمكنه أن يتمتع من الدنيا أضعاف ما يتمتع من استعمل الشهوات[69]".

وقال الحسـن البصـري[70]: " لا يتم دين الرجل حتى يتم عقله، وما أودع الله تعالى امرأ عقلاً إلا اسـتنفده به يوما".

وقيل لعبد الله بن المبارك[71]: "ما أفضـل ما أعطي الرجل بعد الإسـلام؟ " قال: غريزة عقل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن[72]".

ويؤكد الإمام الغزالي[73]، على أهمية العقل بإفراد " باب في شـرف العقل " حيث قال " في شـرف العقل ": "اعلم أنَّ هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره لاسـيما وقد ظهر شـرف العلم من قبل العقل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه[74]".

عن ابن جريج[75]، قـال:"قوام المرء عقلـه، ولا دين لمن لا عقـل لـه[76]"، إلى غير ذلـك من الآثـار والأقوال الدالة على أهمية العقل ومكانته.

المطلب الثاني

تكريم الله تعالى للإنسان بالعقل

يتجلّى إكرام الله للبشـر بأنْ منحهم العقل، بل جعل العقل مناط التكليف، بمعنى أنّه لا تكاليف يخاطبه بها الشـرع إنْ لم يكن صـاحب عقلٍ سـليمٍ، ولمّا رفع التكليف رفع أيضـاً المسـاءلة والحسـاب عنه، فإنه -سـبحانه- (إذا أخذ ما وهب، أسـقط ما أوجب)، ولم يكن العقل في الإنسـان ترفاً أو جمالاً، بل هو منشـأ التفكير والتدبّر، وأسـاسٌ في الإدراك والاسـتيعاب، ومن خلاله يسـتشـرف الإنسـان المقاصـد والغايات والدلالات في خطاب الشّرع له، وها هو العقل أصلٌ في مسائل الاجتهاد وتكيّف الخطاب الشرعي مع كلّ جديدٍ، وقد أوثق الله -سـبحانه- الصـلة بين الحالة الإيمانية بالتفكير والتدبّر، عندما قال: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾[77].

---

(69) انظر: صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، دار الكتب العلمية- بيروت، د،ت، (ص:450).

([70]) هو أبو سعيد الحسن بن يسارالبصري، تابعي، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه (ت110هـ)، من مؤلفاته: فضائل مكة، انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ) تحقيق: علي بجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان- ط: الأولى (1482هـ-1963م)، (45/1).

(71) هو عبد الله بن المبارك بن واضـح الحنظلي، كان تاجرا، محدثا، فقيها، نحويا، من مصـنفاته: كتاب" الجهاد، والرقائق" (توفي سنة181هـ-797م)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (378/8).

(72) انظر: روضـة المحبين ونزهة المشـتاقين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: خالد بن محمد عثمان، مكتبة الصـفا- القاهرة، الطبعة الأولى (1423هـ-2002م)، (ص:21).

[73]() هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، فيلسوف، متصوف، من مصنفاته: إحيا علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، (توفي سنة 505هـ)، (1111م)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: حسان عباس، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى (1900م)، (119/1-1120).

(74) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي (83/1).

(75) هو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، كان فقيها، محدثا، مفسرا، أول من صنف العلم بمكة، (توفي سنة150هـ)، (767م)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (325/6).

(76) انظر: العقل وفضـله، أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سـيفان ابن أبي الدنيا، تحقيق: السـعيد بن بسـيوني زغلول- يسـري عبد الغني عبدالله، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1413هـ)، (1993م)، (ص:33-34).

(77) سورة محمد: الآية12.

ويذهب الإمام القرطبي[78]- رحمه الله- إلى تأكيد أهمية العقل البشري، فيرى أنّ أهمّ مجالات التفضيل الإلهي للإنسان وتكريمه يرجع إلى العقل، على اعتبار أنّه أساس عمارة الأرض وفق مراد الله تعالى، فقد ورد عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا**﴾[79].

"أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء، وهذا ما أكده الإمام القرطبي[80]"،وابن عاشور[81]، وغيرهم.

ولم يكتفِ الإسلام بالعناية بالعقل وحده، بل جعل العقل أحد الكليات الخمس، التي تدور أحكام الشريعة الإسلامية كلها حول حفظها والعناية بها، وهي:(الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال) التي تعد مقاصد الشريعة الإسلامية الكبرى.

فبالعقل يعي الإنسان الأمور من حوله، فهو حصادُ فهمنا وقناعاتنا للحياة، فعندما يغيب العقلُ يصبحُ الإنسان رهينَةً لأفكارِ الآخرين وتابعاً لهم، لذلك فإن أولى ما يجب الاهتمام به هو العقل وتنميته وذلك اتباعاً لأول أمرٍ إلهي نزل لنا من الله عز وجل وهو: ﴿**اقْرَأْ**﴾[82]، فهي أول كلمة نزل بها القرآن الكريم، وهي أمر لإعمال العقل والتفكّر، حيث لا تدلّ على القراءة العادية لحروف وكلمات وسطور، وإنّما تدل على (الإدراك)، فقرأ الشيء بمعنى فهمه أو أدركه أو حلّله "وهذا هو المعنى الأشمل للفظ الكلمات وقرأتها إذ أنه تعني هو فهم وتحليل تلك الأشكال المرسومة على الأوراق وإدراكها وتحليلها، بحيث تصبح ذات معنى مفهوم ومميّز، وأمر القراءة هنا "اقرأ" جاء لتحرير العقل من الخرافات وممّا كان سائداً من التقليد الأعمى للآباء والأجداد، فهو أمر بالتحرّر، وباعتناق قوّة التمييز والإدراك وبالتالي قوّة الاختيار.

ويتبيّن ممّا سبق أنّ للعقل أهميّة كبيرة في الإسلام، فإذا كان الإسلام رسالةً، فالعقل هو السبيل لإدراكها، ومن دونه لن يكون للرسالة معنى، كأن تنزل على غير العقلاء من المجانين أو الأطفال الصغار، أو على الحيوانات أو الجمادات.

والناظر في شريعة الإسلام يجد أنَّ الحديث عن العقل وعن دوره المعرفي يحتل حيزاً كبيراً من النصوص الشرعية لا يوجد لها مثيل مطلقاً فهو حديث يتميز بالدقة والوضوح، لأنه صادر عن الله تعالى الذي خلق العقل وسائر المخلوقات الأخرى وبالتالي فهو حديث صادر عن العليم الخبير به وبخصائصه وسائر صفاته قال تعالى: ﴿ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير**﴾[83].

ومظاهر اهتمام الإسلام بالعقل واضحة جداً، لمن تتبعها في النصوص الشرعية، وإليك أهم تلك المظاهر.

المظهر الأول: أن الله عز وجل جعل العقل مناط[84]، التكليف[85]، فلا يصح تكليف من لا يعقل قال صلى الله عليه وآله وسلم: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يبلغ، وعن المجنون حتى يفيق»[86].

---

(78) هو أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من مصنفاته، الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكار في أفضل الأذكار، (توفي سنة 671هـ)، انظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – (2002م)،(322/5).

(79) سورة الإسراء: الآية70 .

(80) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البر دوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1384هـ)، (1964 م)، (294/10).

(81) هو محمد بن الطاهر بن عاشور، أديب، خطيب، علامة (ت1390هـ)، من مؤلفاته: التحرير والتوير، والحركة الأدبية، وأركان الحياة العلمية بتونس، انظر: الأعلام، للزكلي (325/6).

(82) سورة العلق: الآية1.

(83) سورة الملك: الآية 14.

(84) المناط لغة: موضع النوط وهو التعليق والإلصاق، وفي اصطلاح الأصوليين: هو العلة، انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، (1415هـ)، (1995م)، (ص685)، والكليات، أبو البقاء الكفومي، (ص:873).

(85) انظر: المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1417هـ)، (1997م)، (158/1).

(86) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، كتاب الطلاق، مسند الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (118/1)، رقم حديث (956)،

المظهر الثاني: أن العقل في الإسلام هو أهم الضروريات المشهورة التي هي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهذه الضروريات من الدين.

المظهر الثالث: حرم الإسلام كل ما من شأنه إفساد العقل وإدخال الخلل والنقص عليه ومن ذلك:

1- تحريم الاعتداء على العقل بالضرب ونحوه من صور الاعتداء، وإيجاب الدية الكاملة على المعتدي في حال ذهاب عقله بالكلية وهذا مما أجمع عليه العلماء في الإسلام وقد نص على ذلك الإجماع غير واحد من أهل العلم ومنهم الإمام ابن قدامه[87]، في المغني[88].

أنه حرم تعاطي كل ما يؤدي إلى الإخلال بعمل العقل، بحيث يفقد التمييز ويصبح كالمجنون فحرم الخمور والمخدرات وما شابهها تحقيقاً لمصلحة العقل، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**﴾[89].

بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر: « أن الله تعالى قد لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها، وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقيها» [90].

فتحريم الخمر ثابت بالنصوص الشرعية، حفاظاً على نعمة العقل كما أن الشريعة قد أوجبت على شارب الخمر الحد، وهذا كله مما أجمع عليه علماء الإسلام قاطبة[91]، وما ذلك إلا لأجل الحفاظ على العقل أيضاً.

المظهر الرابع: أن الله تعالى قد خص أهل العقول السوية بجمله من الخصائص التي لا تثبت لغيرهم ومنها:

1- أن الذي يعرف حكمَ ومقاصد العبادة والتشريع ومقاصدها إنما هم أصحاب العقول، ولذلك خاطبهم الله تعالى بقوله:﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون**﴾[92]،

أن الله تعالى قصر الانتفاع بالذكر والمواعظ على أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [93]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون﴾[94].

1- أن الله تعالى ذكر في محكم التنزيل أن دخول الكفار النار، كان بسبب أنهم عطلوا عقولهم عن معرفة الحق وإتباعه، كما قال تعالى يحكي عن المشركين: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[95].

2- صيانة الإسلام للعقل وحفظه وذلك بمنعه من الدخول فيما ليس من اختصاصه حفاظاً على العقل من تبدد طاقته العقلية، وهي تبحث فيمالا قدرة، ولا طاقة لها على الاستقلال بمعرفته، ويتضح ذلك جلياً من خلال أمرين رئيسين هما:

من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(87) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي، ثم الدمشقي موفق الدين أبو محمد، إمام فقيه زاهد، من مصفاته: روضة الناظر في أصول الفقه، وذم التأويل، والمغني في الفقه، (توفي سنة 620هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخيار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين ابن الفلاح عبد يحيى بن أحمد التعكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى (1406هـ)، (1986م، (88/5)، وذيل طبقات الحنابلة، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية (316/1).

(88) انظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، (1405هـ)، (151/12).

(89) سورة المائدة: الآية90 .

(90) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، (316/1)، رقم حديث، (2899)، وأبو داود في السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ، (350/2)، رقم حديث، (3674)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (1402هـ)، (1986م)، (907/2) من حديث بن عباس رضي الله عنهما.

(91) نقل الإجماع على تحريم الخمر، ووجوب الحد على شاربها ابن قدامه، في المغني، (493/12، 498).

(92) سورة الروم: الآية 28.

(93) سورة يوسف: الآية 111.

(94) سورة العنكبوت: الآية 35.

(95) سورة الملك: الآية10.

الأول: صيانة العقل بمنعه من إطلاق الأحكام في الأمور المتعلقة بالغيب، حيث ردّ الإسلام أمر الغيب إلى عالمه وهو الله تعالى وحده، قال الله تعالى:﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُون** ﴾[96].

لأن قضايا الغيب " أمور لا يستطيع العقل من ذات نفسه أن يصل إليها، لأنها ليست في محيط تجربته، ولا تستطيع الأدوات التي يحصل بها المعرفة –وهي أدوات الحس-أن تصل إليها، لأنها خارجة عن نطاق المحسوس. ولكن عن طريق اليقين من صدق الخبر وصدق المخبر[97]".

الثاني: صيانتة من الدخول في أمر التشريع، فلا دخل في الإسلام للعقل في التحليل والتحريم، لأن الله تعالى قد بين إن قضية التشريع من خصائصه سبحانه وتعالى، لأنه كما أنه وحده الخالق فهو الآمر المشرع سبحانه، قال تعالى ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ** ﴾[98]، وقال تعالى: ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّـهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه** ﴾[99]، فجعل التسليم لحكمه سبحانه وتعالى من جملة الأمر بعبادته.

وقد حرر الإسلام العقل البشري من الوثنية الجاهلية التي كانت تستعبده وتذله، حتى بلغت به المهانة التي جعلت الإنسان الجاهلي يصنع الصنم ثم يعبده، وبذلك ارتكس العقل البشري إلى أسفل سافلين.

وتجلت هذه القصية منذ الوهلة الأولى التي يدخل فيها الإنسان في هذا الدين، عندما ينطق بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله " التي تتضمن نفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى، وإثباتها لله تعالى وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ** ﴾[100].

والقرآن الكريم يخاطب أهل العقول بما يدلهم دلالة قاطعة على عدم جواز التسوية بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُون**﴾[101]،

وكذلك نفى سبحانه وتعالى وجود إله آخر مع الله تعالى، بدليل دقة سير الكون، وانسجام أجرامه وسائر ما فيه، فلا اختلاف – اضطراب بل عمل في نسق واحد محكم فقال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُون**﴾[102].

فالعقل له مكانته الرفيعة في الإسلام كما ورد ذلك في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وتكريم الله تعالى للإنسان بالعقل كما مر معنا.

ولكن الإسلام بعد هذا التكريم كله، وذلك الاهتمام قد حدد للعقل مجالاته التي يخوض فيها حتى لا يضل، وفي هذا تكريم له أيضاً لأنه محدود الطاقات والملكات فلا يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة وطاقة على الاستيعاب والإدراك لذا فإنه سيظل بعيداً عن متناول كثير من الحقائق وإذا ما حاول الخوض فيها التبست عليه الأمور وتخبط في الظلمات وفي هذا مدعاة لوقوعه في كثير من الأخطاء وركوبه متن العديد من الأخطار.

لذلك أمر الإسلام العقل بالاستسلام، والامتثال للأمر الشرعي الصريح حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب في ذلك وقد كانت أول معصية لله عز وجل ارتكبت بسبب عدم هذا الامتثال ذلك أنه حينما أمر الله سبحانه وتعالى إبليس بالسجود لآدم عليه السلام استكبر وعصى واستبد برأيه فقارن بين خلقه وخلق آدم عليه السلام: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[103]، ولم يمتثل للأمر طلباً للسبب الذي يسجد لأجله الفاضل للمفضول حسب رأيه فلما لم يدرك عقله السبب رفض الامتثال فكانت المعصية وكانت العقوبة.

لذا منع الإسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول إدراكه كالذات الإلهية والأرواح في ماهيتها ونحو ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » [104]، وقال

---

(96) سورة النمل: الآية 65.
(97) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دارالشروق، الطبعة الأولى، (1403هـ)، (1983م)، (ص:531-532).
(98) سورة الأعراف: الآية 54.
(99) سورة يوسف: الآية40.
(100) سورة محمد: الآية 19.
(101) سورة النحل: الآية 17.
(102) سورة الأنبياء: الآية22.
(103) سورة ص: الآية 76.
(104) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط وقال بعده: لم يرو هذا الحديث سالم إلا الوازع، تفرد به علي بن ثابت، المعجم الأوسط، سليمان بن

صلى الله عليه وآله وسلم: « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله »[105]، وعن الروح قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[106]، فصرف الجواب عن ماهيتها لأنه ليس من شؤون العقل السؤال عنها ولا من مداركه، وكذلك الجنة ونعيمها والنار وجحيمها وكيفية ذلك وغيرها من الغيبيات التي ليست في متناول العقل ومداركه، وعلى هذا مضى المسلمون في العصر الأول من الإسلام حيث عرفوا ما للعقل فدرسوه وحفظوه وما ليس له فاجتنبوه، ولا يعني هذا أن العصر الإسلامي كان خالياً كل الخلو من الآراء الشاذة، بل إنها وجدت في وقت النبي عليه الصلاة والسلام ولكن كان لوجوده صلى الله عليه وآله وسلم ونزول الوحي حينئذ سبب في القضاء على تلك الآراء في مهدها فالمنافقون قالوا يوم أحد عن إخوانهم: ﴿**لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ**﴾[107]، فهل هذا إلا تصريح بإنكار القدر[108].

وقالت طائفة من المشركين: ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾[109]، فهل هذا إلا تصريح بالجبر[110]، ولكن هذه الآراء لم يتبناها أصحابها ويدعوا لها ويؤلفوا عنها وينشروها بين الناس بل كانت تنطفئ في مهدها كما ذكرنا.

إنَّ العقل في الإنسان من صفات كماله، لكن لهذا العقل حدودٌ لا يستطيع تجاوزها وقدرٌ لا يتخطَّاه، والإنسان هو نفسه مخلوق وعقله مخلوق، وإذا كان هو ضعيفاً فعقله فيه ضعفٌ أيضاً، ولذلك فإنَّ هناك أشياء لا يدركها العقل، فلو قال قائل: إلى أي حد نستعمل العقل؟ وإلى أي حد ممكن يصل؟

فنقول: لا يمكن للعقل أن يتعدَّى على المحسوسات، بمعنى: لو دخلت القضايا في عالم غيبيات فإنه ليس للعقل أي دور في الاستنباط والتفكير إطلاقاً، لأنه لا يستطيع أن يُدرك الغيبيات، ولو كان العقل يُدرك الغيبيات لتساوى البشر مع الله في العلم في علم الغيب، والغيب من اختصاص الله تعالى، وكذلك فإن الإدراك وهو العلم بتفاصيل الأمور والصفات والأحوال والأفعال والأحكام ليس إلا لله تعالى، ولا يمكن للعقل في قصوره وضعفه أن يستخرج هذه الأشياء، ولنأخذ مثلاً على ذلك: الروح التي هي سِرُّ الحياة، إذا مات الإنسان خرجت روحه، وكذلك إذا نام، لكن لا تنفصل عنه انفصالاً كلياً، ويمكنها تقطع المسافات الشاسعة وتذهب إلى البلاد النائية وتفعل من الأعاجيب ما لا يَخطُر بالبال، لكننا لا نعرف كيفيتها، لا شكلها ولا طعمها ولا منظرها ولا وزنها، ولا نعرف عنها ولا عن حدودها شيئا، فالإنسان يعجز عن معرفة مكان روحه وكيفيتها وهي بين كتفيه قال تعالى: ﴿**ويسألونك عن الروح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وما أُتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾[111].

إذاً فما نعرفه من عالم الغيب يقتصر على ما أخبرنا الله تعالى به، "ولهذا فإن مجال العقل هو العلوم الضرورية والنَّظرية، وليس العلوم الغيبية، إذ يمكن أن يُدرك العقل ما في الطبيعة، كالرياضيات، والطب، والصناعات وغيرها وما وصول الناس إلى التكنولوجيا الحديثة في الوقت الحاضر إلا دليل على تمكن العقل من هذه العلوم [112]".

أحمد الطبراني، تحقيق: أيمن صالح وسيد أحمد، دار الحديث- القاهرة، طبعة، (1417هـ)، (1996م)، (ص:419-421)، رقم حديث (6319)، وذكره الهيثمي، وقال الهيثمي بعده: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الوازع بن نافع وهو متروك في:مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي- بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر- دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (1402هـ)، (1982م)، (81/1).

(105) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، من حديث أبي هريرة (132/1)، رقم حديث (225)،.

(106) سورة الإسراء: الآية 85.

(107) سورة عمران: الآية 156.

(108) القدر في اللغة هو الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء، وفي الاصطلاح هو حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة معينة ووقت معين، انظر: الملل والنحل، ابن حزم (84/1).

(109) سورة النحل: الآية 35.

(110) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، وأن الإنسان مجبر على أفعاله فلا استطاعة له أصلاً، انظر: الملل والنحل، ابن حزم (84/1).

(111) سورة الإسراء: الآية 85.

(112) انظر: الدليل العقلي، عبد الله الأشول (ص:83).

أما تفاصيل العبادات بشكل عام كمعرفة عدد ركعات الصلوات وأنصبة الزكاة، وقسمة المواريث، والأمور العقدية من جنة ونار، وكيفية صِفَة حوض النبيّ عليه الصلاة والسَّلام، فهذا كُلُّه لا يدرك إلا بالوحي، ولا يُدرَك لا بالعقل المجرد ولا بالحسِّ، وهذا ما استخدمه الرعيل الأول الذين قاموا ديناً عالمياً ودولة خلافة أسعدت النَّاس.

وفي ختام هذا البحث ومن خلال ما سبق بيانه نستطيع أن نستخلص ما يأتي:

1- أن الدين الإسلامي في خطابه ونظره للعقل قد اتخذ منهجاً متوازناً دقيقاً، لأنه عندما خاطب العقل باعتباره أداة فهم للتكليف، وحمله مسؤولية القيام بها وتبعاتها على الوجه الصحيح، فإنه لم يهمل الجوانب الأخرى في حياة البشرية، فهو عندما يخاطب العقل فإنه يخاطب الفطرة الإنسانية، ويوجه الجبلة البشرية التوجيه الذي يحقق الفائدة منها، يفي بحاجات النفس الروحية، ورغبات الجسد في الإطار الذي يحافظ به الإنسان على آدميته فلا يغلب جانباً على جانب، بل يخاطبه ضمن مجموعة متكاملة من الجوانب تمثل الإنسان السويّ وتعمل كلها في تعاضدٍ وتناسقٍ نحو تحقيق الهدف الذي خلق الخلق لأجله، وهو تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له.

أن الإسلام هو الذي أسس وهيأ المناخ العلمي للعقل البشري حيث نظم قواعد البحث والنظر وقواعد التفكير السليم فنقل الإنسان المؤمن إلى المناخ العلمي الذي يفتح بصره ويثير ملاحظته، وطلب منه استخدام العقل لإدراك النتائج والاهتداء بالبصر إلى البصيرة..."[113].

وعلى عكس الإسلام تماماً نجد موقف الكنيسة النصرانية – مثلاً - فبينما يفتح الإسلام المجال للعقل في مجاله الذي يحسنه من تجريبيات وحسيات، نجد أن الكنيسة في العصور الوسطى من تاريخ أوربا ترى أن أي مصدر من مصادر العلوم والمعرفة لابد أن يكون صادراً عنها، وأن ما يخالف رأيها هو رأي باطل مردود وبالتالي فلا يصح استخدام العقل في النظر والبحث في الطبيعة ومعرفة أسرارها وعجائبها.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

- اهتمت الشريعة بالعقل اهتماماً بالغاً، يتضح ذلك من خلال نداءاتها لأصحاب العقول بنعوت شتى، فالعقل أعظم نعمة أنعم الله عزوجل بها على الإنسان بعد أن خلقه، لأنه به يميز بين الخير والشر، وبه ميزه على سائر المخلوقات.
- أن الله تعالى أنزل العقل منزلة عظيمة، وذلك حين جعله مناط التكليف، فهو الأداة التي يفرق بها بين الإنسان والحيوان، كما يعد وسيلة التفكر والاعتبار، وجعله أحد الضروريات الخمس التي أوجب المحافظة عليها.
- تحديد مفهوم العقل أمر صعب، كونه مصطلح جدلي في قاموس العقيدة، يبحث حول كينونة العقل، وهو أمر لا يمكن فهمه على وجه الحقيقة، فهو سر من أسرار الله تعالى.

ثانياً: التوصيات:

- الاهتمام بالدراسات العقدية لاسيما الدراسات التي تعتمد على المنهج المقارن.
- دراسة العلاقة بين العقل والنقل عند المدرسة الكلامية والسلفية قديماً وحديثاً.
- الاهتمام بدراسة مصادر الأدلة في العقيدة عند الفرق الكلامية والسلفية.
- الأحاديث الواردة في العقل ومرادفاته في السنة النبوية.

(113) انظر: "تأملاتٌ في الواقع الإسلامي" عمر عبيد حسنة، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، (1441هـ-1990م)، (ص:84-85).

قائمة المصادر والمراجع

1. كتاب العقل وفضله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: لطفي محمد الصغير، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، (1409هـ)، (1989م).
2. غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، دار الفكر، بيروت- لبنان، بدون تاريخ.
3. سنن أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بدون تاريخ، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، (1402هـ)، (1986م).
4. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي (ت505هـ): دار االمعرفة – بيروت.
5. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني ابن الأثير (630هـ) تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: الأولى (1415هـ).
6. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت- الطبعة الأولى.
7. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – (2002م).
8. الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1421هـ)، (2001 م).
9. تأملاتٌ في الواقع الإسلامي، عمر عبيد حسنة، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى، (1441هـ-1990م).
10. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1419هـ)، (1998م)
11. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد عبد الباقي، دار الجيل، بيروت.
12. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البر دوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1384هـ)، (1964 م).
13. الدليل العقلي وبعده المقاصدي، عبدالله حسين محمد الأشول، رسالة ماجستير- جامعة صنعاء، إشراف أ.د/محمد سنان الجلال، (1431هـ)، (2010م).
14. ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية.
15. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي أبو حاتم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، (1397هـ)، (1977م).
16. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: خالد بن محمد عثمان، مكتبة الصفا- القاهرة، الطبعة الأولى (1423هـ-2002م).
17. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (المتوفى سنة: 303هـ)، تحقيق:د.عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، (1411هـ)،(1991م).
18. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى سنة 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (1405هـ)، (1985م).
19. شذرات الذهب في أخيار من ذهب، ابن العماد شهاب الدين ابن الفلاح عبد يحيى بن أحمد التعكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى (1406هـ)، (1986م.
20. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي، دار الكتب العلمية- بيروت، د،ت.
21. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تحقيق:د، الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب- بيروت- الطبعة الأولى، (1407 هـ).
22. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة- بيروت- لبان- د.ت، باب الباء فصل القاف.
23. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش-محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت(1419هـ-1998م).
24. لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى.
25. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، (1415هـ)، (1995م).
26. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الأولى، (1403هـ)، (1983م).

27. المستصفى في أصول الفقه، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، الطبعة السابعة، (1997م).
28. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1417هـ)، (1997م).
29. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف في الجمهورية العراقية، (1405هـ)، (1985م).
30. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى- أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
31. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، (1399هـ)، (1979م)
32. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي أبو محمد، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، (1405هـ).
33. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: الأولى- (1412هـ).
34. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي، (المتوفي سنة 751 هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب (1402هـ)، (1982م).
35. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، (1392هـ).
36. الموضوعات، أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي القرشي، تحقيق: دكتور نور الدين بن شكري جيلار، أضواء السلف، ومكتبة الشعرية، الطبعة الأولى، (1418هـ)، (1997م).
37. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ) تحقيق: على بجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان- ط: الأولى (1482هـ1963م).
38. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى سنة: 764 هـ).
39. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: حسان عباس، دار صادر– بيروت، الطبعة الأولى (1900م).